حسن العلوي

هيكل صدام وعاشق عمر

حسن نوري سلمان خلف العلوي.

- ولد في بغداد ضاحية الكرّادة عام ١٩٣٦م.

- درس في ثانوية الكرخ، وأتمّ السنة الأخيرة في الثانوية الشرقية في بغداد.

- أنهى دراسته في كلية الآداب - جامعة بغداد عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩.

- نشر أول مقال له في الصحف عام ١٩٥٤، وله كتابات قومية منذ عام ١٩٥٦.

- عمل في التنظيمات الأولى لحزب البعث منذ منتصف الخمسينيات، وخرج من الحزب، ولم يعمل في تنظيم أو تجمّع آخر.

- تحظى كتبه بدائرة انتشار واسعة، وكان العراقيون يستنسخون سراً أي كتاب له، فيما كان العثور على نسخة من كتبه سيقود صاحب المكتبة والقارئ إلى سجن طويل.

obeikandl.com

من كتبه السائرة:

- عبدالكريم قاسم رؤية بعد العشرين.
- الجواهري ديوان العصر.
- التأثيرات التركية في المشروع القومي.
- الشيعة والدولة القومية.
- دولة المنظمة السرية.
- أسوار الطين في عقدة الكويت.
- العراق الأميركي.
- عمر والتشيع.

obeikandl.com

العرب باعوا (شيعتهم) بلا مقابل!

أكـد المفكر الشـيعي الشـهير حسـن العلـوي أن المرحلة التي يعيشها العراق حالياً ستفضي إلى «الصومَلة»، ويعقبها تفكيك الكتل المتجانسة، الذي بدأ باختلاف السنة مع السنة، والشيعة مع الشيعة، والأكراد مع الأكراد.

وشـدّد العلوي، الذي صُنّف سـابقاً على أنه «هيكل صدام»، في حـوار مع «الحياة»، علـى أن إيران حالت دون اقتتال الشـيعة فيما بينهم، أما السنة فإنهم بدؤوا يتقاتلون، ويُتوقع المزيد.

وأبدى أسفه لتقديم الدول العربية شيعة العراق هدية إلى إيران، على الرغم من أن عددهم يماثل عدد خمس دول أعضاء في الجامعة العربية. أما البقية من الشـيعة العرب الذين استعصوا على المغازلة الإيرانية، فقال: إن تأثيرها «تحت الصفر».

لكن العلوي اعتبر كتابه «عمر والتشـيّع» الذي صدر حديثاً، يمثل مشـروعه السياسي لمحاولة إطفاء النيران المشتعلة في العراق، وبعث الشيعة العرب؛ ليجمعهم خطاب مستقل.

وامتدح شطارة إيران، وقال: إنها مكّنت لنفسها في العراق وليست أميركا التي مكّنت لها كما يتردد. وعاتب العرب السنة في تأخرهم عن القيام بدور مماثل، وإن تفهّم أن «فاقد الشيء لا يعطيه». وفيما يأتي نص الحوار معه:

تنبأت بأن العراق الأميركي قادم، وأن له رجالاً محددين، فصاروا كما توقعت، سؤالي: ماذا بقي حتى الآن مما توقعت حدوثه ولا تزال تجزم بقدومه؟

- بقيت (الصوملة)، وأعني بها أن يصبح العراق كالصومال، العراق الآن مثل كرة تتدحرج من جبل، ومن الصعوبة إيقاف الانهيار؛ لأنه لا توجد مصدات، كطوفان يجري من دون سدود ولا حواجز، فدائماً أنا أتوقع الأسوأ، نحن الآن في المرحلة الرابعة.

وهل هناك مرحلة خامسة تعقبها أيضاً؟

- تعقبها مرحلة تفكيك الكتل المتجانسة بعد حل الدولة وحل السلطة، ولو اكتفى الأميركيون بحل السلطة واستبدال سلطة عراقية عادلة بها لكان من الممكن أن يستقيم الأمر؛ لأن هناك عدم ارتياح من سلوك النظام العراقي السابق من جانب الجوار الإقليمي، بسبب تورطه في إشكالات كثيرة مع العرب والمسلمين على حد سواء، فحل السلطة لم يكن يحزن العرب أبداً، ولكن الذي فاجأ الناس هو حل الدولة، الذي حدث بالتزامن مع حل الشعب، أي تفكيك الشعب،

فكّكوا السلطة، وفكّكوا معها وحدة البلاد الوطنية، وساعدهم على ذلك أن الشعب نفسه غير متجانس، فالعراق يعاني من عدم التجانس الاجتماعي، فهو شعب تعددي، وهذا ليس خطراً في أصله، حتى إن شاعراً عراقياً شبّه العراق بالبستان، فيه مجموعة من الألوان والزهور ذات ألوان وروائح حلوة، لكن تحوّل هذه الألوان إلى رماح وإلى صواريخ يُحل الخطر، وهذا ما حدث.

وبأي شيء ينتهي نفق مرحلة الصوملة؟

- تنتهي إلى لا شيء. إلى (اللا دولة)، فنحن الآن في مدة ما بعد الفيديرالية أو ما تحتها، على غرار قول أدباء ما بعد الحداثة، فحتى الفيديرالية قد تُشكّل فيها كتل متجانسة كردية، وشيعية، وسنية، هذه الآن غير موجودة ما عدا الكتلة الكردية التي لا تزال متجانسة، وإن كنت أتوقع صداماً في المستقبل لأي سبب، فالكتلة السنية الآن في حال صدام في الأنبار.

كأنك تقول: إن النتيجة النهائية للعراق أن «لا حل»؟

- نعم لا حل للعراق؛ لأن عناصر الحل غير قائمة، كما أن إرادته أيضاً غير متوافرة، والتصالح الذي تسمع عنه مجرد استهلاك وكسب للوقت، إذ ليس ناتجاً من نية صادقة.

ولكن هل صوملة العراق شيء مخطط له أميركياً، أم حدث نتيجة لفشل غير متوقع؟

- فـي بعض الأحيان ليس شـرطاً أن يكون الناتج من جنس المقدمة، فنحن كما سـقطنا في فخ المؤامرة سقطنا في فخ آخر، وهو أنه لا مؤامرة، أنا أعتقد أن الواقع شـيء بـين الاثنين، إذا ما نزلنا قليلاً عن مصطلح المؤامرة ونفي المؤامرة، فسنجد شيئاً آخر اسمه خطط الدول. هـل يعقل أن دولة مثل أميركا لا يوجد لديها برنامج عمل. الشـركة الصغيرة تضع لها برنامجاً مرحليـاً أو أكثر من مرحليّ، فأميركا لها برنامج محدد، ومخطط خاص، أنت قد تسميه مؤامرة، لكني قد لا أسميه مؤامرة، هو خطط الدولة.

أفهـم مـن ذلـك أن أميـركا خططـت لأن يكـون العراق صومالاً، مثلاً؟

- أنـا لا أقول بهذا، ولكن قلـت لك: إن الناتج قد لا يكون من طبيعة المقدمـة، كيف أن بلداً تحتل بلداً وتخضعه لسـيطرتها، ثم تطالب دولـة أخرى بتقديم حل، إما لتأييد الاحتلال أو نفيه، فاسـتدعاء إيران من خلال خطاب بوش أخيراً، بأن تكف إيران أو سـورية عن كذا، معناه أن الاحتلال غير قادر على إدارة البلد.

ولكـن ثمـة دولاً تـرى أن أميركا هـي التي مكّنت لإيران في العراق؟

- لـم يحدث ذلك بالطريقة المباشـرة التي يتحـدث عنها بعضهم لا توجد دولة تحتل بلداً وتمكّن دولة أخرى منافسة فيه، فالأميركيون يعرفون أن إيران التي سـتدخل العراق هي المسلحة لا العزلاء، وهو

obeikandl.com

ما يتناقض مع مبدأ أميركا في بداية احتلال العراق، فهم لا يريدون إلا قوة واحدة، ولذلك سـرّحوا الجيش والأمن العراقيين، ورفضوا إقامة شـرطة عراقية وأمن عراقـي لمدة طويلة، على اعتبار أن أي سـلاح سيصطدم مع سلاحهم، وحتى هذه اللحظة هم يخشون أن يسلحوا قوات الداخلية العراقية والجيش العراقي بجدية.

على هذا إيران مكّنت لنفسها؟

- نعم، إيران شاطرة، ونحن نخشى أن نواجه طاقاتها بعجزنا وفشلنا كعرب في كل مرة، بالضبط كخطابنا إزاء إسـرائيل بأن الصهاينة عملوا كذا وكذا، ونتجه إلى تحميلهم أي شـيء يستفز العرب، نحن الآن نحمّل إيران الشيء نفسه، لماذا لا نقوم نحن بالعمل الذي تقوم به إيران، أو الذي تقوم به إسرائيل، من الذي منع العرب؟

برأيك، هل العراقيون الذين باتوا الضحية، وقعوا في فخ الاحتلال، وربما إيران أيضاً؟

- لا، الوضـع في العراق نتيجـة لتراكمات طويلة، نتيجة لأخطاء في بناء السـلطة العراقية الأولى التـي أقامها الملك فيصل الأول على مبـدأ قومية السـلطة في بلد متعدد، فكان مـن المفترض أن تقام وطنية السلطة على الغرار المصري لا على قومية السلطة؛ لأنه في وطنية السلطة يلتقي السني والشيعي والتركماني والكردي والعربي، أما قومية السـلطة فهي مشروع انقسامي، والملك فيصل انتبه إلى أخطائه فحاول تصحيحها، وقام بتوزيع مذكرة ضد قومية السلطة،

ومرت ستة أشهر من توزيع هذه المذكرة في تداول محدود ثم رحل، وهنـــاك عوامل أخرى أدت إلـــى ظهور العراق بالصـــورة الحالية، أبرزها المكبوت الطائفي الـــذي انفجر، بعضهم يتصرف كمن يرى أن الوقت حان لتصفية الحساب مع الآخرين بعد ١٤٠٠ سنة!

obeikandl.com

دم الصدام في رقبة هؤلاء!

إذن هـل أصبحت العملية أخذ كل طائفة بثأرها من الأخرى؟

- نعم، وهـذا الذي حدث في محاكمة صدام، بدت ثأراً من السـنّة وليسـت محاكمة، هذا ما قلته بعد تنفيذ الإعدام بأربع سـاعات، إذ قلت: إن صداماً السـنّي هو الذي أعدم وليس صدام الديكتاتور الذي لم يحاكم أصلاً، والذي أوحى بهذا الشعور هو عملية الإعدام، هذا المشـهد لم يكن اختراع الذهن العربي أو الذهن السني، وإنما المشهد هو الذي أوحى بهذا الانطباع.

وفـي تقديـرك، من الـذي اختـار التوقيت الذي استفز كثيرين؟

- الأميركيون وشيعة السلطة، حتى أبرئ شيعة الشعب.

وما موقف الشيعة المعتدلين من المشهد؟

- أين هم الشـيعة المعتدلون؟ اذا كان الخطاب العربي يعد الشـيعة العـرب عجماً ويخاطبهـم كصفويين! الخطـاب العربي يقدم كذا

obeikandl.com

مليون عربي شـــيعي هدية لإيران باعتبارهم عجماً، ما موقع هؤلاء المعتدلين إذا كانوا بين أضراس وأنياب التكفير والتعجيم من جانب، وسيطرة الإســـلاميين ذوي النزعة الإيرانية على القرار السياسي من جانب آخر.

وهـل نتيجة لذلك لم يعد للشـيعة العرب تأثير في التركيبة العراقية؟

- الآن درجة تأثيرهم تحت الصفر.

وكيف يُبعثون؟

- يُبعثون بخطاب عربي وليس بخطاب طائفي، ولا بخطاب يطعن في عروبة القبائل العربية التي جاءت امتداداً لنجد في بادية الســـماوة والفرات الأوسط، هذه القبائل هي التي حافظت على عروبة العراق لكي لا يســـتعجم، هؤلاء لا ينبغي الحديث عنهم كصفويين أو عجم. هذه اللغة ناتجها أننا نقدم هذه العشائر العربية هدية لإيران.

وإيران هل ستقبل تلك الهدية؟

- بالتأكيد، وهؤلاء العرب الشيعة مجموعهم يساوي خمس دول عربية أعضـــاء في الجامعة العربية، فأنت تقدم لإيران خمس دول عربية حين تتنازل عن الشيعة العرب، فإنك عندئذ تتنازل عن العروبة في العراق عموماً!

ومـا دورك أنت في تغيير هـذه النظرة وأنت الآن في العاصمة السعودية (الرياض)؟

obeikandl.com

- أسعى لتغيير هذا الخطاب، أسعى لمصالحة تبدأ من التاريخ. كتابي «عمر والتشيع» هو مشروعي.

obeikandl.com

مشروعي مقاومة (العجم)!

هذا المشـروع ثقافي، والعراق يحتاج إلى مشروع سياسي؟

- بل مشروع سياسي يبدأ بالتصالح مع التاريخ، هذا نداء إلى الشيعة العرب أن ينفصلوا عن الخطاب الإيراني، مثلما ينادى السنة العرب بأن ينفصلوا عن خطاب التعجيم، لأن هناك شـيعة عرباً متورطين في الخطاب الإيرانـي، ويهاجمون عمر ويشـتمون الصحابة، في الوقت الذي يمثل الشـيعة فيه فقـط ١٠ في المئة، فهم جزيرة في محيط إسلامي سني، وبالتالي لا توجد لهم فرص طيبة، فالفرص الطيبـة تأتي من التجانس والمشـاركة وليس مـن القطيعة، ولهذا عنوان الكتاب «القطيعة والمشـاركة»، لأن الناس الذين يدعون إلى القطيعة هم الذين يهاجمون الصحابة ويهاجمون عمر ويدّعون حب علي، ويعتقدون أن علياً لم يتشـارك مـع الصحابة وإنما قاطعهم، ولهذا أنا أسـعى إلى تشكيل تيار أسـميه «تيار المتعربين الشيعة»، والمتعـرب هو وصف أتى في كتاب الجاحـظ، حين قال: كان عمر متعرباً. والمتعرب ليس الذي أصبح عربياً وإنما العربي الذي يدافع

obeikandl.com

عن مصالح العرب، وشـــرف العرب، فأنا أفضّل كلمة المتعرب على العربي، أنا من أتباع عمر بن الخطاب فكراً ووجداناً.

أنت تدعو إلى تجمع عربي أكثر من كونه طائفياً، والذي نراه الآن أن صوت الطائفية تتهاوى أمامه كل الأصوات الأخرى؟

- العامـــل الطائفي هو أقوى العوامل في العـــراق، ولهذا كان العراق البريطاني ســـنياً والعراق الأميركي شيعياً، ووضعت كتاباً في هذا الموضوع اسمه «العراق الأميركي».

إذن، هـل يمكـن لمشـروعك النجاح فـي ظل هذا الهيجـان الطائفـي واستمسـاك رجـال الديـن الطائفيين من السنة والشيعة بزمام الأمور؟

- هذه لغة تجارية، أما أصحاب المشـــاريع الفكرية كهذه، فحسبهم أن ينشروا الأفكار مثلما ينشر الأوكسجين ويتنفسه الناس، ولا يفكرون في الربح والخســـارة، أنا شـــخصياً خســـران مئة في المئة، أخسر عندما أترك ســـفارتي ودولتي وامتيازات دولتي، سأخسر كثيراً من الجمهور العراقي الذي سيســـيء فهم كتابي هذا «عمر والتشـــيع»، ولا يدرك أنه مثل كتابي الآخر «الشيعة والدولة القومية»، في ذاك أتكلم عن حقوق مدنية، وفي هذا أتكلم عن حقوق مدنية، في ذلك الكتاب كان الشيعة مذهباً مقموعاً فدافعت عنه، وفي هذا الكتاب أصبحت السنة هي المذهب المقموع، فدافعت عنه.

ألا تـرى أن العـراق الآن في حاجة إلـى مبادرات إطفـاء سياسـية، وليس إلـى مشـاريع فكرية لا يظهر نتاجها إلا بعد وقت؟

- لا، هو مشـــروع سياســـي، وقلت: إنه محاولة لإطفاء النيران، فهو طفّاية حريق.

أنـت ذكـرت فـي إحـدى أطروحاتـك الفكرية أن عيد الاسـتقلال ربما يثير جـدلاً بين العراقيين، واقترحـت أكثر مـن مقترح، فما الـذي تراه الآن بعـد إعدام صدام؟ هل سـيأتي من يقول: إن يوم إعدام صدام سيكون...؟

- (غاضباً)، لا تتسطّح إلى هذه الدرجة. هذا أمر مستبعد تماماً.

سـؤالنا عن عيد الاستقلال، أي يوم تراه مناسباً ليكـون عيد الاسـتقلال؟ أو الأصلـح ليوفّق بين العراقيين؟

- بالنسبة إلى الملكيين كانوا يعدون يوم ٢٣ آب (أغسطس) من كل عام عيداً للاستقلال؛ لأنه اليوم الذي تأسس فيه العراق الملكي عام...، ومنهم من اعتبر يوم ١٤ تموز (يوليو) يوماً وطنياً للجمهورية، ومنهم مـــن يعد يوم ســـقوط صدام حســـين عيداً، ولا أحـــد يحتفل بيوم الاحتلال عيداً له! أنا اقترحت وكتبت رســـائل لزعماء العراق؛ لكي لا يتأخروا في الإعلان عن اليوم الوطني، واكتشـــفت في دراســـتي

لتاريخ العراق أن هناك يوماً سيلقى القبول لدى جميع العراقيين، وهو يوم إعلانه عضواً مستقلاً في عصبة الأمم المتحدة في جنيف، في ٣ تشرين الأول (أكتوبر)١٩٣٢.

وهل تعتقد أن هذا اليوم سيرضي الجميع؟

- نعم نعم، لأنه يوم استقلال، ولم يكن لا ملكياً ولا جمهورياً، بل العراق الذي أصبح دولة مستقلة في العالم.

في حوار لك ذكرت أن لك مؤلفاً، سميته «الفتوحات السفيانية»، وأشرت إلى أن هذا الكتاب لن ينشر إلا بعد مماتك، ما فكرة الكتاب حتى تراه بهذه الخطورة؟

- «الفتوحات السفيانية» كتاب قررت ألا أنشره في حياتي، وبالتالي أيضاً لا أستطيع الحديث عنه، ولكن ما أقوله لك: إن كتاب «عمر والتشيع» كان من نتائج «الفتوحات السفيانية»، كان فصلاً صغيراً فيه اشتغلت عليه إلى أن أصبح كتاباً.

ذكرت في إجابة سابقة أن الطائفية تتناقض مع الاجتماع على العروبة، ولكن في لبنان تكوّنت الدولة على أساس طائفي، وهي المثل العربي الأعلى في غناها الثقافي؟

- لبنان ليست دولة طائفية، وإنما الدولة الطائفية هي التي فيها طوائف عدة، وتوزع فيها الامتيازات بطريقة منحازة غير عادلة،

كأن تكون شـيعية وتحرم السـني، أو مسـلمة وتحرم المسيحي... ولهذا؛ فالإسـلام لم يكن طائفياً؛ لأنه أعطـى حقوق الكل كاملة. العراق مثلاً كان طائفياً لأن القرار سـني، وأصبح الحكم فيه الآن طائفياً كذلك، لأن القرار شـيعي بالطريقة نفسها، لم يتغير شيء سـوى أن اسـتبدلوا بطائفية معينـة طائفية أخـرى، والفارق بين الطائفيتين في حكم العراق أن الحكم في العراق في المرحلة السنية لم يكن ثقيلاً على الناس، لأن الحاكم لم يكن يلبس العمامة السنية، أي أن الطائفة السـنية لـم تحكم العراق بمذهـب أو بدين وإنما حكموا كحزب قومي... حزب ليبرالي، حكموا كهاشـمية، وحكموا كجمهورية، ولهذا فالناس لم يكونوا يشعرون بأن هذا الحاكم سني؛ لأنه لم يكن يحكم بشكل ديني، أي أنه لم يكن مثلاً يفضل أبا حنيفة على أبي جعفر الصـادق، ولا يظهر على التلفاز يمسّ علي بن أبي طالب بشيء.

وفي كل عصور الدولة العراقية السـنية، لم يُسمّ شارع واحد باسم أحد من بني أمية، لأن هناك شيعة، ولا يوجد في العراق شارع ولا مبنى ولا منتدى ولا مؤسسة باسم أي شخص أموي!

إذن على أي أسـاس ترى طائفـةٌ في العراق أن ما يُفعل الآن ضد السنة في العراق مبرر، لأن النظام العراقي السابق فعل بالشيعة الشيء نفسه؟

- هذه منطقة ثأر سياسـي، والثأر موجود بين القبائل، وأي سياسـة مبنية على الثأر لا يمكن أن تصدق!

obeikandl.com

كنت مع المشروع الأميركي!

نعـود إلى العـراق الأميركي، هل النظـام القائم الآن فـي العـراق هو العـراق الأميركي، بحسـب رؤية حسن علوي تماماً؟

- في نظري أنهم يريدون أن يجعلوا العراق هونغ كونغ، ولكن ليس في الصـين، وأن يفتحوا له تجارة، ولكـن لن يوجدوا فيه صناعة، لأنه منذ أن يصبح صناعياً، فإنه سيهدد أميركا، لأن الدول الصناعية لا تكون عميلة، وهذا قانون معروف.

نحن كنا نتصور أن المشـروع الأميركي سيسـاعد على تغيير السلطة وحلهـا، والدول المجاورة كلها كانت تتمنى أن يزول هذا النظام، ولم يحـزن أحد عليه. لكن كيف يتغير؟ هذه نقطـة، ومن الذي يغيّره؟ هذه نقطة. وكيف سـيصبح؟ هذه النقطة الثالثة. وهذه كلها جاءت علـى غير المتوقـع؛ لأن الأميركيين لم يكتفوا بحل السـلطة وإنما حلوا الشعب وفككوا الوحدة الوطنية، والآن بدؤوا في تفكيك الكتل المتجانسة بتأجيج الصراع بين السني والسني، والشيعي والشيعي، والكردي والكردي، والسـنة بدؤوا بهذا المشروع، وإيران تحول دون

obeikandl.com

أن يقتتل الشـــيعة بعضهم مع بعض، بينما الســـنة لم يخضعوا لقوة تمنعهم من الاقتتال.

مـاذا يمكـن لـدول الخليـج العربـي المحيطة أن تفعـل لتحـول دون هـذه المرحلـة التـي سـتكون الأسوأ إذا حدثت؟

- فاقد الشيء لا يعطيه!

obeikandl.com

فِقْه السيستاني (سني) وليس شيعياً!

ذكرت في لقاء سابق معك أن السيستاني يعد ظاهرة في ابتعاده عن الفقه الشيعي التقليدي، وأنه بعيد عن المدرسة الخمينية التي تدعو للالتزام بعباءة الفقيه. كيف ذلك ونحن لا نرى أي انفتاح في المدرسة السيستانية؟

- أنا أرى أولاً أن الحكم المباشر ليس للفقيه، أي أنه يقبل دور الفقيه في المجتمع وليس حكم الفقيه، فالفقيه له دور في المجتمع وليس له حكم، وثانياً أرى أن السيستاني اشتغل سياسياً بالفقه السني وليس بالفقه الشيعي، والسنة اشتغلوا بالفقه الشيعي وليس بالفقه السني. فالشيعة عند تأسيس العراق البريطاني قاطعوا الدولة والانتخابات، وقاطعوا المدارس، فانتهى الحكم إلى السنة.

الآن هيئة علماء المسلمين في العراق الأميركي قاطعت الانتخابات وقاطعت الاستفتاء، ولم تنتبه للخدمات وتركت الأمور للشيعة، فالحرمان السني الحالي بعض سببه الفقهاء، كما أن مثيله الشيعي في العراق البريطاني بعض سببه الفقهاء أيضاً.

obeikandl.com

ولكن ما موقع السيستاني في هذا الواقع حتى تمتدح انفتاح مدرسته؟

- السيستاني اشتغل بالفقه السني الذي يقول لك: لا تترك الدولة للفتنة، الدولة أهم من الفتنة، ولو كان الحاكم جائراً؛ فلا يصلح الابتعاد عن السلطة.

الذين شاركوا في السلطة الحالية من السنة، هم الحزب الإسلامي وبعض العلمانيين، وهذا نفسه حدث عند الشيعة حين رؤوا أنفسهم معزولين عن الدولة، إذ بدؤوا يدخلون الدولة في العراق البريطاني، ولكن بعد أن فاتهم القطار، وفي الحالة الأولى خسر الشيعة مواقع في العراق البريطاني، وفي الحالة الثانية خسر السنة في العراق الأميركي، هذا التبادل الفقهي الذي أعنيه بين السنة والشيعة، وهو ليس نظرية وإنما واقع، لم يُكتشف ولم يُحلل بعد.

أيضاً ترى أن السيستاني بعيد عن مدرسة الخميني، كيف ذلك؟

- الآن هو المرشد الروحي الأعلى.

في ظل عدم وجود مدرسة فقهية شيعية مستقلة في العراق، كما يتردد الآن، ما الذي يمكن أن يوحّد العرب الشيعة؟

- لا توجد مدرسة فقهية عراقية، فقد كانت موجودة، ولكن الآن الفقيه السياسي هو الذي يسيطر على الفقيه الديني، وحتى السيستاني استُحضر استحضاراً للعملية السياسية وابتعد عنها.

هل ابتعد عنها زهداً فيها أم لأنه فقيه ديني؟

- هذه مدرسته وهو لم يكن متفقاً مع الخميني، فمدرسة السيد عبدالمحسن الحكيم وتلميذه أبو الحكيم لا توافق على دخول المرجع في السياسة، مع أن أولاد الأخير دخلوا في السياسة.

ولكن يزعم بعض السنة أن السلطة الحاكمة في العراق، كثير من أفعالها تحظى بمباركة من هيئة إفتاء المرجعية.

- لا توجد لدى الشيعة هيئة إفتاء ولا فقيه واحد، وللعلم فإن السياسيين العراقيين المتنفذين، والزعماء الاسلاميين الشيعة في السلطة العراقية، جميعهم لا يقلدون السيستاني، فالمجلس الإسلامي الأعلى يقلد السيد خامنئي، وحزب الدعوة له مرجعيته التي يقلدها، وتيار الصدر لديه كاظم الحائري، هذا واقع الأمر، وبالتالي، فإن الزعماء لا يأخذون الفتوى من السيستاني، بل يأخذونها من غيره، وفتواه غير ملزمة لهم.

وماذا بقي للسيستاني من دور بعد ذلك؟

- بقي له أتباعه من عامة الناس.

عبد العزيز السويد: ما حصل في العراق منذ قرار بريمر حل الجيش، هل هي أخطاء أم خطط أميركية؟

- بل هي خطط خاطئة، هم كانوا يتصورون أن بإمكانهم أن يسيطروا على العراق عسكرياً، فما قيمة وجود الجيش العراقي بالنسبة إليهم؟ فطبيعة المحتل ألا يسمح بسلاح آخر غير سلاحه، لأنه في الدولة المحتلة لا يوجد إلا سلاحان: سلاح المحتل وسلاح المقاوم. كان المفترض أن يجعلوه سلاحاً متصالحاً، لكنهم خافوا من أي سلاح آخر أن يتحول إلى سلاح مقاومة ضدهم، وهذه هي الخطة الخاطئة، فهم لم يكونوا يعلمون أن الجيش الذي سرّحوه لن يشكل خطراً طالما أنه يشتغل تحت سيطرتهم، فطلع لهم الجيش نفسه، ولكن تحت سيادة أخرى، ولهذا نتجت من هذا المخطط الخاطئ أشياء خاطئة أخرى.

بما أنك قسمت العراقي إلى أميركي وبريطاني، فأيهما سيكون الأطول عمراً؟

- العراق الأميركي سيكون الأقصر عمراً، ومن الغرائب أن يكون الاحتلال عنواناً لبقاء العراق، كما يرى الحزب الإسلامي والشيعة معاً. هناك اتفاق سني - شيعي في السلطة العراقية، على أن ذهاب الأميركيين سيؤدي إلى الاقتتال.

الصراع حين يكون على (العدو) . . لا معه!

وأنت ماذا ترى؟

- الشـيعة والسـنة إذا تصالحوا هم من سيطرد الأميركيين، ولكنهم الآن في عراك وصراع دمـوي، وهذا الواقع المر هو الذي يوصلهم إلـى نتيجة أنه إذا ذهب الاحتلال ذهب العراق، وطالما أن الأطراف العراقية هي التي تشعل الاقتتال، فلينهوا هذا الاقتتال؛ لكي لا يجد الأميركيون ذريعة للبقاء.

وهـل المحتلـون أنفسـهم يريدون مغـادرة العراق حقاً؟

- مفهـوم العراق الأميركي المتصـل بالاحتلال قد ينتهي مثلما حدث للعراق البريطاني، ففي ٣ تشرين ١٩٣٢ انتهى الاحتلال البريطاني وأعلن استقلال العراق، لكن كانت هناك قاعدتان بريطانيتان، بهذا المعنـى يبقى العراق الآن أميركياً وبرضـا الأطراف جميعها. وفي بعـض الأحيان لا يكون الصراع ضد أميركا، وإنما عليها، انظر إلى هـؤلاء الذين كانوا يتصارعون، الآن كل منهم يقول: إن أميركا لابد أن تبقـى؛ لأن كلاً منهم يود خطب ود الأميركيين، هناك صراع بين

obeikandl.com

السني العربي والسني العراقي. السني العربي مسكين جاء للعراق لا ليطلب دفتر إقامة ولا إجازة عمل ولا جاء للسياحة، بل جاء ليموت، فأمامه «الجنة الخضراء»، أما السني العراقي فإنه يريد الاستيلاء على «المنطقة الخضراء»، ويفكر كيف يصل لها ويأخذ حقوقه مثل الشيعة.

هل يعني هذا أن المقاومة الباقية من السنة العرب فقط؟

- وقليل من السنة العراقيين، وبعض الشيعة كأفراد، أما العشائر العربية فلا توجد داخل التيار الصدري ولا غيره، فهي الآن في دور السبات، ليس لها دور في السلطة ولا في المعارضة.

نشر لك رأي تؤكد فيه أن مشايخ الشيعة أمرهم رجراج، وفقهاء السنة هائجون مائجون، ماذا تقصد بهذا؟

- الشيعة مثل المشتهية المستحية، أتوا بالأميركيين معاونين لهم، ومع ذلك يحاولون إخفاء ذلك، لكن هذا لم يحدث مع السنة في العراق البريطاني، كان موقفهم واضحاً.

وذكرت أيضاً أن الشيعة في أثناء معارضتهم كانوا أرأف بالسنة، على عكس السنة حينما صاروا في العراق الأميركي، على حد اصطلاحك، محكومين؟

obeikandl.com

- وما زلت أقول، إلى حد ضرب سامراء.

وبعدها ماذا كنت تقول؟

- بعدها بدأ الشيعة ينتقمون، وقبل هذا كان دورهم سلمياً، في أثناء وجود سيادة سنية لم يقتل محافظ ولا اغتيل رئيس مركز لأنه سني، ولا اغتصبت فتاة سنية من شيعي.

obeikandl.com

الشيعة أكثر تسامحاً من السنة؟!

كأنك تقول: إن الشيعة أكثر تسامحاً من السنة؟

- نعم كانوا كذلك في العراق البريطاني، عند مقارنتهم بالسنة في العراق الأميركي، واستمرت الحال إلى حدٍ ما في العراق الأميركي إلى أن ضربت سامراء، بعد ضرب سامراء تنمّر الشيعة وبدؤوا في إحراق مساجد السنة، وبدأ القتل على الهوية بصورة لم يشهدها العراق من قبل!

أشرت في بعض أطروحاتك إلى أن المشروع العربي هو الحل، بينما ترى طوائف أخرى من الطائفتين أن الحل بيد المعممين من السنة والشيعة، بمعنى آخر، رجال الدين؟

- هذا سؤال فكري فضفاض، وأنا عندي كتاب عن الدولة القومية، راجعه تجد فيه الإجابة على سؤالك.

هل تنص في كتابك على أن الحل لدى الإسلاميين أم لا؟ هذا ما تهمني معرفته الآن؟

obeikandl.com

- ذبحتني بأسئلتك! خفف عليّ.

تحاملت في أحد كتبك على القومية العربية، وقلت: إنها تعريب، والتعريب حرام، لماذا؟

- التعريب هو القسر على اعتناق اللغة بلا إرادة الطرف المستعرَب، وتعريب العجم يعني تغيير هويتهم، وهو ما يتعارض مع الجعل الإلهي في قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾ (الحجرات:١٣)، ولكن بالاستجابة الطبيعية الشعوب كلها تعربت، لأن العروبة أصبحت وسيلة المسلم لفهم الإسلام، فاستعرب بإرادته، ولذلك عمر بن الخطاب حين فتح العراق ووجد القوميات غير العربية تركها على لغاتها، ولو أن عمر فرض على هؤلاء العروبة لما بقي من هؤلاء أعجمي أو تركماني أو كردي أو آشوري.

ذكرت في أحد كتبك أنه لا توجد فتوى شيعية تجيز قتل السني، بينما توجد أعداد من الفتاوى السنية قديماً وحديثاً تجيز إهدر دم الشيعة، هل أنت متأكد من ذلك؟ والقتل على الهوية الذي اعترفت به آنفاً، إلام يستند؟

- هذه مسألة يطول شرحها وقد تلتبس على الناس، لأنها تحتاج إلى مقدمات، فالطائفية الشيعية في العراق تاريخية، أما الطائفية السنية فإنها معاصرة، هذه واحدة. الشيعي غير متصالح مع التاريخ بسبب شتمه بعض الصحابة، بخلاف السني فإنه متصالح

obeikandl.com

مع التاريخ، لأن كل أئمة أهل البيت بالنسبة إليه أولياء صالحون، فمشت أمورهم. فالشيعي عندما يشتم عمر لا يرد عليه السني بشتم علي، وإنما يقول له: أنت كافر ودمك حلال، هذا السبب في ظهور الفتاوى التي سألت عنها لدى السنة، أما الشيعة فإنهم لم يحتاجوا لتلك الفتاوى حتى يصدروها.

عبد العزيز السويد: والنواصب؟!

- النواصب المقصود بهم بنو أمية، وهم قوم لهم خطاب خاص في الفقه الشيعي.

obeikandl.com

مساكين يبحثون عن الجنة!

في معـرض حديثك عن المفارقة بين الطائفتين في الاسـتجابة للعنف، ذكرت فـي أحد لقاءاتك أنـه لـن يظهر «زرقاوي شـيعي»، ولكن مـا الفرق بـين الزرقـاوي والميليشـيات التـي تـؤدي المهمة نفسها في الطرف المقابل؟

– قد يكون هناك التباس، فأنا خرجت على «المستقلة» ذات يوم، وقلت: إن جبر صولاغ هو «زرقاوي الشـيعة!»، الفارق أن المعسكر الشيعي يمثل الدولة وهذا الخطر، وقلت: إن السـنة سـيقتلون الزرقاوي. وأكدت أن مشكلة الزرقاوي قبل أن يقتل في الأساس مع السنة، لأن السني العراقي يريد الحكم والزرقاوي يريد الموت، فحتى يتخلصوا من هذا الإشـكال عليهم أن يقتلوه، وفعلاً تخلصوا منه. السنة هم الذين قتلوا الزرقاوي!

أكدت أن السـني العراقي يريـد الحكم، هل أفهم من هذا أن في العراق سنة غير عرب، أو عرباً غير عراقيين مؤثرين في الخريطة السياسية؟

obeikandl.com

- السني العربي جاء للعراق ليس طلباً لدفتر الإقامة ولا حق عمل ولا راتب، جاء ليموت في المنطقة الخضراء، أما السني العراقي فإنه أمام المنطقة الخضراء، يريد أن يتفاهم ويسهم في الحكم. السني العربي ليس جاسوساً ولا مرتزقاً.

عبدالعزيز السويد: إرهابي يُسمّى؟

- السني العربي ليس إرهابياً، إنما هو مسكين يبحث عن الجنة. أما السني العراقي فإنه مدني سياسي. وهذه مشكلة السلفية، فإنها عقيدة بلا مصالح، بخلاف الإخوان فإن لديهم عقيدة ومصالح.

ذكرت في أحد حواراتك الصحافية القليلة جداً، أنك أحصيت ٧٠٠ ساعة تدعم فيها قنوات عربية منظمات الذبح السنية، لماذا لا تسمّيها منظمات مقاومة؟

- هذا الكلام كان فيما قبل عام ٢٠٠٥، أما الآن فإن هناك متغيرات حدثت، فبعد سامراء استشرس الشيعة، فصاروا أيضاً شركاء في الذبح على الهوية.

ألمحت إلى أن الليبرالية قد يكون بيدها الحل بعد أن فشلت الطائفية؟

- الليبرالية ليست عقيدة وإنما هي منهج، والليبرالية التي أعنيها هي التي تمنح الناس التفكير والمشاركة في الرأي، وهي التي تمثل معنى آية: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ولو أنها آية منسوخة!

obeikandl.com

وأنـــا شـــخصياً لا أرى أن الليبرالية حل، وإنما هـــي منهج للعمل. والعراق لم يكن في يوم من الأيام ليبرالياً، ولا يتحمل الليبرالية غير المتدرجة، والمؤسسات التي تقوم عليها الليبرالية لم تقم في العراق، وهي الصحافة الحرة والبرلمان والرأي العام.

obeikandl.com

انتفض الملك عندما أبلغته رسالة الأميركيين!

بما أنك أقررت في إجابة سابقة أنك كنت تناصر المشروع الأميركي في العراق، فما هو الدور السعودي في إسقاط صدام، وأنت أحد الذين لهم اتصال بقمة الهرم السياسي في المملكة، ومبرر هذا السؤال أنه رغم مساعي السعودية في نهي الأميركيين عن اجتياح العراق، إلا أن أطرافاً تزعم أن وراء هذا التوجه، خطاباً مستتراً يؤلبهم عليه... بصفتك شاهداً مع المشروع الأميركي في تلك المدة... ما هي الحقيقة؟

- الدولة السعودية دولة مركزية، لا تحتمل ظهور أقلية وفرقاء، فهي تسير على نظام أبويّ صارم، وكان الملك فهد قد ترأس اجتماعاً للمعارضة العراقية كنت أحد المشاركين فيه، لكن الإدارة الأميركية هي التي تشظت إلى أكثر من فريق، وانتهت بانتصار الكونجرس والبنتاغون على فريق السي. آي. إيه والخارجية. كانت المملكة العربية السعودية تسعى للتغيير بأسلوب الانقلاب العسكري، فاجتمع إليها عسكريون عراقيون خارجون على النظام، مع شخصيات كان

obeikandl.com

لهم دور في قيادة حزب البعث، بالإضافة إلى عسكريين يعيشون في المملكة منذ مطلع السبعينيات، لكن السعودية لا يتناسب وقارها مع العمل الحزبي وتشكيل خلايا ثورية وتحريك القوى والعوامل الخاملة، مما قد تنجم عنه مخاطر فتنة على الطريقة العراقية، فتوقفت المملكة للمراجعة، وإن بقيت مصرة على أن الانقلاب أفضل الطرق للتغيير في العراق.

وقد تشكل كيان معارض بنظرية أخرى داخل الولايات المتحدة الأميركية لسحب المعارضة من الرياض إلى واشنطن، واعتماد شخصيات أخرى، فظهر المؤتمر الوطني وأحمد الجلبي، وانعقد مؤتمر فيينا، وكان انعقاده مزعجاً للدول الثلاث التي كانت تشرف على اجتماعات المعارضة العراقية، وهي سورية وإيران والسعودية.

وأنت أين كنت من هذين المشروعين، وقد بدت لك علاقات خاصة مع السعوديين في وقت مبكر؟

- كنت ضد مشروع الانقلاب، لأنه يعني بالنسبة لي أن كتبي وكتاباتي ومليون ضحية عراقية لم تكن إلا عبثاً، بحيث أغفل «دولة المنظمة السرية»، و«الشيعة والدولة القومية» وسواهما، وجهودي التي ترتكز على عالمية بغداد وسلطة مشتركة وليست أحادية.

لكن لا أخفيك الآن، وقد وضعت في مواجهات سرية وعلنية مع رجال المشروع السعودي، ومع الجهة المسؤولة عن الملف العراقي، فأقول، ولكن بعد تجربتنا في العراق الأميركي: إن فكرة

الانقلاب كانت أسلم وأنفع مع قليل أو كثير من المشاركة في صناعة القرار.

وكيف توفق بين علاقاتك مع السعوديين، ودورك في المعارضة، والسعودية بشهادتك كانت ضد المشروع الأميركي؟

- عندما تتصف بشيء من سعة الصدر والليبرالية والحياد، يمكن أن تتحدث مع خصمين في وقت واحد، وربما سيحتاجك الخصمان معاً.

كنت في اجتماع ثنائي مع أحمد الجلبي في مكتبة بمقر المؤتمر الوطني في حي نايس (برج في لندن)، ولم أكن من مرتادي هذا المقر، ولم تزد زياراتي له على الثلاث مرات خلال سنتين، حيث أكتفي بالعمل من مكتبي، بعيداً عن كل ما يذكرني بالمركز والمقر والاجتماع.

استعرض الجلبي بتفاؤله المعهود خطوات سياسية مفيدة لعملية التغيير، وأشار إلى السعودية باعتبارها مشكلة للعراق في الحاضر والمستقبل (!!!) وسألني إذا ما كان ممكناً لي أن أستثمر علاقاتي مع القيادة السعودية لإزالة مخاوفها من المستقبل، وتحدث عن موقف البنتاغون وبعض النافذين في الكونجرس من سياسة المملكة إزاء المؤتمر الوطني.

وفي الأمثلة التي قدمها لي، وهو ينقل آراء المسؤولين الكبار في الإدارة الأميركية، أحسست بهجمة تستهدف الملك عبد الله شخصياً

obeikandl.com

(لما كان ولياً للعهد)، فسألته عما إذا كان وراء هذا الاستهداف لوبي إسرائيلي، فقال:

الأميركيون يتحدثون عن مصالحهم بوضوح، وعن مصالح إسرائيل بالطريقة نفسها، ولا يذهب بك الاعتقاد أن مسؤولاً كبيراً في الإدارة الأميركية يتحول إلى أداة لصالح دولة أخرى، إلا إذا كانت الدولتان تشتركان في رؤية ومصالح واحدة.

وبحركة سريعة قال الجلبي: لا يجوز استسهال التحليلات، لأن هناك خلافاً سعودياً أميركياً كبيراً، فهل تريد أن أسمعك موقف مسؤولين كبار من السعودية والأمير عبد الله بالذات؟ فتقدم إلى الهاتف، وطلب اسم شخص في البنتاغون وأنا أستمع إلى حوارهم وكان الشخص الأميركي يتحدث بلغة غير ودية عن السعودية والأمير عبد الله!

وكان الجلبي قد عرّف لي الشخص المتحدث، وسألني بعد انتهاء المكالمة التي استمرت عشرين دقيقة، إذا كنت مستعداً لنقل وجهة نظر شخصيات أميركية أكبر من هذا المتحدث، وحمل رسالة إلى الأمير عبد الله، تكشف موقف فريق فعّال في الإدارة الأميركية من المملكة العربية السعودية، فاعتذرت إذا كانت الرسالة حادة أو صارمة، واشترطت الالتقاء بالشخصية الأميركية مباشرة، ومعرفة مكانتها هنالك، فحضر بعد أيام مسؤول أميركي رفيع المستوى، وتحدث بنوع من الاحترام للأمير، وحرص المتحدث على أن يرى

الأميـــر قائداً لدولة بحجم المملكة، لكنه لم يخف ملاحظات إدارته الخاصة، وتتعلق بثلاثة أهداف:

١) إن التثقيـــف فـــي المملكـــة ونظام التعليم، من شـــأنها –حســـب زعمهم– أن تخرج مجتمعاً يمكن أن يظهر فيه متطرفون ينتشـــرون في العالم.

٢) إن الســـعودية، إن لم تدعم صدام حسين، فإنها لم تشارك الإدارة الأميركية في مشـــروعها لإســـقاطه، وأظنها الآن – أي المملكة – تقدم العون حالياً للحيلولة دون ســـقوط نظام صدام حسين، وكأن المتحدث يلوح إلى رد فعل الجوار العراقي من إســـتراتيجية التغيير الأميركي في المنطقة.

٣) إن سياســـة المملكة والأمير عبد الله بالذات تجاه قضية فلسطين تميل إلى التشـــدد، بـــل وتحريـــض دول كمصر على التـــزام هذا الجانب. ومشاركة الدول العربية المتشددة في قضية السلام العربي الإسرائيلي.

اتصلت في مســـاء ذلـــك اليوم بصديـــق كبير في الديـــوان الملكي الســـعودي، وأشـــرت إلى اعتذاراي عن إيصال رســـالة أبلغني بها مســـؤول أميركي إلـــى الأمير عبد الله، لما فيها من مواجهة لســـت أهلاً لها.

فقال المتحدث السعودي: لا. عليك أن تبلغها لصاحبها بأسرع وقت اليـــوم قبل الغد، وكان يوم الخميس، فوصلت الرياض بعد منتصف

الليـــل، وتوجهت إلى لقاء الأمير صباح يـــوم الجمعة في منزله في الرياض.

عرضـــت عليه تطورات الوضع في المعارضة العراقية، واتجاه النية للتغيير في العراق لا محالة، وعن إمكانية التأقلم الإقليمي مع هذا الواقع، بما ســـيأتي به من مستجدات وتطورات، وعرجت بأسلوب دبلوماســـي رقيق إلى ما أسميته احتراماً للمقام باتهامات متداولة عند فريـــق أميركي نافـــذ، وبدأت أقترب من عـــرض الملاحظات الأميركية الثلاث، فانتفض الأمير وهو يستمع إلى الملاحظة الأولى قائلا: هل يريد هؤلاء أن نخرج على عقيدتنا ومبادئ ديننا وأعراف مجتمعنـــا مقابل أن يرضـــوا عنا؟ ومن هؤلاء الذيـــن يكيدون هذا الكيد، ومن يتبنى أمر مواجهة الدولة بمسلميها؟ وماذا يبقى لنا إذا حدث هذا الأمر لا سمح الله؟ وهل يعرف هذا الفريق أو ذاك، أننا أحدثنا إصلاحات كبيرة في نظام التعليم.

وعند الملاحظة الثانية المتعلقة بمســـتقبل نظام صدام حســـين قال الأمير عبد الله: إننا لســـنا مســـؤولين عن استقدام صدام حسين وحزبه إلى السلطة، ونحن على خلاف معه منذ يوم الانقلاب حتى تطاولـــه على حرمة المملكة بضرب عاصمتها بالصواريخ، وحشـــد جيشه على حدودها وتهديد أمنها. لكننا لن نتعاون مع دولة تسعى للإطاحة بنظام عربي بهذه الطريقة، ولا نشارك في هذه السابقة، ولـــو اعتبرنا مع من يســـعى لحماية صدام، ولـــن نضحي بمصالح العـــراق ووحدته، بل نحذر هؤلاء من مخاطر هذا المشـــروع، وهذه الطريقة لتغيير حكومة أو نظام.

أما بخصوص الملاحظة الثالثة، فالمجال متسع لتقديم أفكار أو مشروع للسلام العربي الإسرائيلي بما يحفظ مصالح العرب والفلسطينيين، وهذا الأمر منوط بجميع الدول العربية، وهو أمر قابل للمناقشة.

لم أكن مستمعاً لردود الأمير عبدالله فحسب، بل كنت محاوراً فعالاً، حتى إنني وهو في صميم دفاعه بلغة قومية صارمة قلت له:

إذن من حق هؤلاء أن يصفوا موقف صاحب السمو بما يشبه مواقف ماوتسي تونغ سابقاً. لقد طرحت عليه هذا الاسم بابتسامة، ثم أردفت قائلاً:

صاحب السمو، إن المملكة لم تقم إلا على سياسة الاعتدال والتفاهم مع الغرب، فلما ذا لا تترك صدام حسين ونظامه الذي جرّ المآسي إلى هذه المنطقة؟ ثم إن المملكة لا تتحمل سياسية متشددة.

قال الأمير: إنني أواجه المتشددين في كل يوم، ولكن بطريقتنا الخاصة وبأسلوبنا وأعرافنا. ثم وجه الأمير كلامه لي قائلاً بالنص:

إن هذا المشروع سيجلب لكم المآسي والفرقة، ولن يعود عليكم وعلى العراق بالخير.

كتابي أهدر دمي!

أخيراً إلى أي شيء انتهيت في كتابك «عمر والتشيع» الذي أعادك إلى الأضواء مجدداً؟

- من الأخطاء الكبرى أن ينظر إلى عمر على أنه نصف الإسلام، والنصف الآخر علي. عمر ليس نصف الاسلام، بل هو كل الإسلام ناقصاً خمسة!

ومن هم الخمسة؟

- أصحاب القطيعة، وبالتالي لا توجد مناصفة، وللأسف حتى الطرف السني خضع لهذه المناصفة الخاسرة، عمر لم يتطفف نصفاً، عمر هو كل العرب ناقصاً خمسة، عمر هو كل التاريخ ناقصاً خمسة في المئة، خذ مؤلفي التشيع القدامى المسعودي والأصفهاني واليعقوبي، تجد أن رأيهم في عمر مثل رأي حسن العلوي.

وكيف كانت ردود الفعل بعد الكتاب؟

- الكتاب لم يُوزّع بعد.

وما توقعك لردود الفعل؟

obeikandl.com

- رد الفعل معروف عندي منذ سميت ابني عمر قبل ٤٣ سنة، ويتوافد علي أناس لم ينطق أحد منهم في حياته باسم عمر، فجلسوا يقترحون علي أن أسميه عماراً، بحثاً عن أي تحريف لاسم عمر، وبعضهم يسألني: أي عمر تقصد؟ فأقول عمر في التاريخ واحد، هو عمر بن الخطاب، وما سميت ابني عمر إلا حباً في عمر ابن الخطاب، وسيأتي يوم أكتب فيه كتاباً عن عمر. خمسون عاماً مضت وأنا أبشر نفسي بكتاب أخطه عن عمر، فكتابي هذا ابن خمسين سنة، جمعت فيه عواطف خمسة عقود!

عبدالعزيز السويد: وأنا أشهد أنني معك عام ١٩٩٢ وكنا نتحدث عن عمر، فأنا أشهد أن شخصية عمر منذ عهد بعيد كانت مسيطرة على أبي عمر حسن العلوي.

- أنا لست متحولاً أبداً، كتابي هذا هو أنا منذ خُلقت.

هناك من سيشكك في صدقية نهجك هذا، وسيفسره بنظرة تآمرية، من ذلك وجدت صحيفة عراقية تقول: إنك شيعي في المغنم، ومتبرئ من المذهب في الملمات.

- (غاضباً) إذا كان المغنم أن الدولة الحاكمة في العراق الآن شيعية وأنا من بُناتها، إذ كنت زعيم المعارضة الإعلامية منذ ٢٣ سنة، فالمفترض مني على رأي من يقول هذا أن أقبل بكل العروض التي

obeikandl.com

جاءتني منها، وأتمتع بكل الامتيازات التي يتمتع بها أمثالي، أو أكون تاجـراً أعقد الصفقات ويصير عندي ملايين. أنا الخاسـر. تارك بلدي ومواقعي ومناصبـي، والرواتب التي تدرها، والصفقات التي تدرها السـلطة، وأعرّض حياتي للتهديـد... كل هذا مغنم؟ أأحد يترك كل ذلك ويقال: إنه طالب مغنم، لا يقول هذا إلا السـفلة من الشيعة والسنة!

هذا ظننا فيك، ولكن هذه تهم طبيعي أن تتردد، فسامحنا؟

- عبد العزيز السـويد: من البدهي أن يكون لمثلك أعداء من السـنة والشيعة، فكل المصلحين عانوا.

- العلوي: تأليفـي لهذا الكتاب يعني أنني غامرت بروحي، ووظيفتي تركتها، وبلدي الذي يقتل على الهوية قاطعته، فأي شـيء يمكن أن يعوضني عن كل الذي خسرته؟ وأي دولة سنية تستطيع أن تعوضني عن حياتي وعن خسائري؟

عبد العزيز السويد كرر مواساته السابقة للضيف.

obeikandl.com

دستور العراق الحالي تشويه للفيديرالية

الدستور الحالي ليس أكثر ليبرالية من الدستور الملكي، لقد كان لدينا دستور ملكي تأسس عام ١٩٢٥، وكان نموذجاً يحتذى به، لكن طراز الحياة السياسية لجم سراج هذا الدستور. الدستور الحالي به هوامش ليبرالية واضحة، تجعله دستوراً ليبرالياً، لكن فيه أخطاء واضحة أضعفت المركزية أكثر مما ينبغي، وأعطت الأقاليم الصغرى حقاً في القرار الأكبر، في صورة لا توجد في نظام الولايات والفيديراليات العالمية.

في أميركا، وهي دولة فيديرالية، هل تسمع صوتاً غير صوت بوش؟ أين صوت حاكم كاليفورنيا؟ هل سمعت أن حاكم كاليفورنيا ذهب ليعقد اتفاقاً مع المكسيك مثلاً؟! بينما في العراق يذهب محافظ البصرة ليعقد اتفاقاً مع إيران! الدستور هو الذي أعطاه هذا الحق. الدستور العراقي أعطى الحق للمحافظة في أن تنفصل عن الإقليم، إذن، دستور العراق الحالي لا يؤمّن القدر المطلوب للوحدة الوطنية، ويعتبر تشويهاً للنظام الفيديرالي في العالم الذي يوصف بالليبرالية. الليبراليات في العالم تقوم على مركزية القضاء والخارجية والدفاع، ولا تعطي أي حق للولايات في أن تخرج عن حدودها وتبرم معاهدات كما نرى في العراق! (من الحوار).

القطيعة ستحاصر الشيعة العرب

على سعة نفوذها المحكم على المؤسسة الدينية وسيطرتها على الذهن الشعبي، لم يقدر لنظرية القطيعة أن تجد لها صالة أكاديمية ومريدين متنورين في الوسط الشيعي على الأقل في مقاسات النخب النوعية.

إن أكثر الأسماء بريقاً في العراق وأحياناً في البلدان العربية والإسلامية تنتمي إلى القول بمبدأ المشاركة والتجانس بين الإمامة والخلافة في العهد الراشد.

ففي الجانب المشارك، تلمع أسماء ريادية لم ينافسها اسم في مدرسة القطيعة، التي تبدو أكاديمياً شبه مهجورة في العراق، ليس لغلبة النشاط السني الداعم والمبشر بنظرية المشاركة، بل لعبقريات خرجت من مدن التشيع إلى العالمين العربي والإسلامي برؤية تنويرية رائدة.

فعسى أن نلملم شتاتنا لقيام مدرسة لوحدة المشاركة بأساتذتها وأتباعها وإنتاجها الفكري والإعلامي، وبهذا قد نصون وحدة التاريخ العربي، ونصون قبل ذلك حياة المنتمين لمدرسة أهل البيت، ونتسامى

obeikandl.com

من حمأة الكراهية والدماء إلى رحاب السلم الأهلي، لا سيما وأهل التشيع هم الأقلية في محيطهم العربي، ومثل ذلك في عالمهم الإسلامي، بدل المواجهة الإعلامية التي طالما تقود في مرحلة آتية أصحابها إلى سكاكين الذبح.

إن دعاة القطيعة لا يقتصر أداؤهم السلبي على مرحلة في التاريخ الإسلامي فحسب، بل أيضاً على قطيعة اجتماعية وسياسية وحياتية بشكل عام مع مجتمعنا العربي.

ومع ارتفاع وتيرة التحريض في خطاب القطيعة ترتفع إجراءات القطيعة العربية لحاملي هوية التشيع، فيصبح الوسط الشيعي هو المقاطع والمركون في حجر العزلة.

وإذا كانت نظرية القطيعة أقامت في إيران إمبراطوريات كبرى، وأسهمت في إيجاد وحدة تقوم على التمذهب القومي، فلأن إيران عالم خاص يعيش في شبه قارة، لها عناصر قوة لا تتوافر لأهل التشيع في بلد آخر. وليس لإيران مجال حيوي غير بلاد فارس، فيما المجال الحيوي للشيعة العرب مفتوح على عالم يمتد من ثراء الخليج وينتهي بثراء المحيطات، وسيحول بين أبنائنا وحق الحياة في امتدادهم العربي، قول آبائهم بنظرية القطيعة مما يدفعني إلى التصريح بأن نظرية المشاركة لا تقف عند اندماج الإمام علي مع الدولة والمحيط في التاريخ الإسلامي الأول، وإنما تدعو إلى اندماج بشري وقومي وإنساني واندماج المصالح للمنحدرين من سلالات

obeikandl.com

شـــيعية مع مجتمعهم العربي، ومن دون ذلك فســـيكون عبور شـــيعي عراقي إلى الخليج كعبور الخليجي السني إلى جنوب العراق في هذه الأيام مـــن أواخر عام ٢٠٠٦. وهكذا يتحـــد الحرص على المصالحة التاريخية بالحرص على الصلح الاجتماعي مع الماضي والحاضر.

إن كتاب «أصل الشـــيعة وأصولها» للإمام كاشف الغطاء ومهزلة العقل البشري لعلي الوردي وفصول من تاريخ الإسلام لهادي العلوي وشـــيء من هذه المحاولة هي جوازات مرور تخترق جدران القطيعة، التي يســـتفاد منها في إيران لكنها ســـتضرب مصالح الشيعة العرب أينما ولوا وجوههم.

وفي منهـــج الوردي يمكن عـــرض الملاحظات الآتيـــة لعل جيلاً سينتبه إلى أهميتها مثلما اســـتيقظ العراقيون بعد الحرب العراقية – الإيرانية على صوت الوردي وعادوا يستنجدون بمناهجه العلمية.

لقد أشـــاح الوردي عن التاريخ «أبراده القشب» وتحدث إليه بمثل ما تحدث طه حســـين وجهاً إلى وجه، وأتاح ذلك له التحاور الإنساني مع المقدس، ووضع رجاله على طاولات التشـــريح الاجتماعي العلمي باعتبارهم بشـــراً، واســـتخرج من تاريخ الصـــراع المذهبي المرويات المشـــتركة والخاصة لإبطال القائلين بنظرية القطيعة ليس فقط بين عمر وعلي، بل أعطى أمثلة ونصوصاً لفقهاء المذاهب الأربعة وميلهم لأهل البيت، واســـتل الـــوردي عمر بن الخطاب بمهـــارة وعفوية من أمويته المخترعـــة، وعاد به إلى الخط المحمـــدي، فأبطل أطروحات

فقهاء الخلاف وأحالها إلى عاملين: صراع المصالح الخاصة، وعامل يتصل بطبيعة النفس البشـــرية وتعقيداتهـــا، والتقط الممتع والجاذب من تاريخ الإســـلام. فحبب إليه من لم تكن لهم مصالح في القطيعة، بينما كان الفقهـــاء ورجال الدين من أوائل المتطوعين لوضع كتب في الـــرد عليه، وأبـــرز من كتب في نقد الوردي آية الله الســـيد مرتضى العســـكري ورضا صادق وعبدالمنعم الكاظمي وصالح القزويني. من كتاب «عمر والتشيع».

obeikandl.com

لو اعتُمد الانقلاب لربح الشيعة والسنة معاً!

سأختلف مع القائلين بأن الاجتياح الأميركي يرتبط بتداعيات ١١ سبتمبر.

يحضرني في هذا المجال رأي نشرتُه في المجلاّت والصحف العربية، ودوّنته في أحد كتبي، وهو جواب على سؤال مماثل عن الاجتياح العراقي للكويت، وما قلته في هذا الاجتياح يصلح أن يكون قاعدة تاريخية للاجتياح الأميركي.

إن الكويتيين كرّسوا جهودهم وأفكارهم ونشاطاتهم، حتى في كتابة تاريخ الاجتياح على الاجتياح نفسه، وهو لحظة عسكرية محضة، وتنفيذ قرار عسكري يتصل كما أعتقد بأيديولوجيا الضم التي تمتد في العراق إلى منتصف الثلاثينيات الميلادية.

إن الغزو الأميركي كذلك ليس هو اليوم الذي يُكتب تاريخاً بدخول القوات الأميركية بغداد، أو بسقوط النظام في ٩ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣م.

إنه ليس نتاج لحظة رحمانية أو شيطانية، جمعت أشخاصاً من المعارضة العراقية مع مسؤولين في الكونغرس والخارجية والأمن،

obeikandl.com

ليخرجوا منها متفقين على برنامج إسقاط النظام الذي تعارضه هذه الشخصيات العراقية باجتياح عسكري أميركي.

لـــو كان كل معارض يحظى بتأييد أميركي، ثم يتحول هذا التأييد إلى عمل عســـكري ضخم لإســـقاط النظام السياســـي، لكانت أول تجربة ستتم أو ستنجز في كوبا المجاورة للولايات المتحدة، حيث تقيم المعارضة الكوبية المنظمة والواســـعة هناك منذ أكثر من أربعين عاماً، ولكانت حركة «مجاهدي خلق» الأكثر تنظيماً وإقداماً، شكلت مجلس الحكم لإيران الأميركية، منذ عشرين عاماً، ولكانت المعارضة الليبية سبقتنا بثلاثين عاماً لإقامة ليبيا الأميركية.

إن ظهور العراق الأميركي في ٩-٤-٢٠٠٣ ليس أول ظهور، بقدر ما كان يوم ولادة سبقته مخاضات معقدة، ولعلنا عشناها، لا متفرجين أو محايدين، بل مشاركين.

فمنذ انتهاء العراق البريطاني يوم ١٤ تموز ١٩٥٨م، وقيام العراق العراقي للمرة الأولى، وتجميد العمل بتمذهب الدولة، ونقل بغداد من أحاديتها «المقرفة» إلى عالميتها العباســـية الرحبة، وتعرّض الحكومة العراقية المحايدة عنصرياً ودينياً وطائفياً إلى محاولات يومية قادمة من غرب العراق وغرب العالم، انتهت يوم ٩ شـــباط (فبراير) ١٩٦٣م بإعـــدام العراق العراقـــي زعامة وحركة وطنية وحزبـــاً ديموقراطياً، وليس لك أن تتســـاءل كيف أســـقط نظام سياســـي كان أتباعه أكثر مـــن خصومه، وقوته العســـكرية باعتباره محمياً بالجيش العراقي لا

تساويها قوة ميليشـــيا ناشئة معزولة باسم الحرس القومي، فيسقط الجيش والنظام بيدها.

إن زعماء الحزب الذين أسهموا في حركة إعدام العراق العراقي، هم الذين أجابوا على هذا الســـؤال بشـــجاعة لم يتحل بها نظراؤهم في الأحزاب العراقية.

أما واحد مثلي، عاش مع الحزب منذ منتصف الخمسينيات بصفة (مراقب) فإنه ربمـــا التقط الكثير، واحتفظ بالأكثر من الشـــهادات والأفكار، التي قد تؤيد ما ذهب إليه زعماء الحزب ممن خرجوا عليه في وقت باكر.

ولا أتردد فـــي القول هنا: إن الغزو الأميركـــي للعراق هو لحظة عســـكرية تشبه غزو الكويت، تسبقها أربعون عاماً كشفت عن علاقة ما بين ٩ شباط و٩ نيسان ٢٠٠٣، وهي علاقة توالد وتراحم وانتساب، ولهذا، ومن دون مقدمات فضفاضة، أقول: إن حجر الأساس للعراق الأميركي وضع في يوم ٩ شباط ١٩٦٣، في أستوديو الإذاعة العراقية، ومرت الأربعـــون عاماً بمراحل وحكومات، وبأحـــزاب ورجال، قد لا يكونون شـــركاء في بناء العراق الأميركي، إنما هم شركاء في القضاء على العراق العراقي. وإذا كانت بعض المراحل التي حكم فيها القوميون العرب بنقائهم الناصري، ووطنيتهم العربية، مُدداً داخل هذه الأربعين عاماً، فمن المعروف أنهم لم يكونوا جزءاً ولا طرفاً ينافس المركز الأول المتمثل في حزب ٨ شباط و١٧ تموز، بزعامته التي برمجت الأوضاع

وهيـــأت الظروف لإنضاج وقيام العـــراق الأميركي. ربما تحدثنا عن تفاصيل العراق الأميركي من زوايا مختلفة، وبعفوية كما ترى، أما إذا كنت تبحث عن نبوءة للمســتقبل فلتقرأ في فنجان العراق الأميركي. إن العراق سيكون فيديرالياً وديموقراطياً، وقد غادر مرحلة تاريخية، وليــس لأي قوة سياســية أن تعيده إليها. لكني أفكــر دائماً بالخبرة السنية الهائلة في صناعة السلطة وإدارتها، ما يدفعني إلى مجاهرة الفئات العراقية الأخرى بضرورة ألا تتعامل مع السنة باعتبارهم رقماً سكانياً. وألا تخضع مشــاركتهم في السلطة إلى نسب رياضية، وألا يغتر طرف، لاسيما الشــيعة، بحجم التصويت الانتخابي؛ لأن السنّة قد يرون أنفســهم أمام وضع صعب فــي قبول حكم الغالبية المطلقة، وقد يتعرض العراق إلى الانقســام برغبة ســنية هــذه المرة، وليس برغبــة الدكتور أحمد الجلبي والســيد باقر ياســين في إقامة إقليم الجنوب قبل أوانه.

وتلــوح أمامــي خطوط لأفــكار قد تكــون الأطراف الســنية والإقليمية فكرت أو ســتفكر فيها، لتوســيع الجغرافيا السنية في الفيديراليات المقترحة، بضم مــا يتعارفون عليه بإقليم بغداد إلى هــذه الفيديرالية، وجعله يمتد إلى محافظــة ديالى حتى الحدود الإيرانية، فيما ترتبط ذراعه الغربية بالحدود السورية عبر الفلوجة والرمادي والقائم.

ولهذا ألاحظ أن عمليات التفجير والذبح تتركز في مناطق بغداد المختلطــة، حيث تقبل المناطــق المختلطة فكرة التحــول إلى مناطق

متجانســة أحادية مغلقة، وهو ما يســمونه الآن بالتطهير العرقي، أو المذهبي، فيما هو أقرب إلى «التقذير» منه إلى «الطهر والطهارة».

ومن شــأن عملية كهذه أن تنتهي إلى إقامة جدار سني عازل، من خانقين حتى الحدود السورية والأردنية.

أما توســيع جغرافيا الفيديرالية السنية فهو واضح في عمليات ذبح طائفي، تبدأ من اليوســفية والمحمودية واللطيفية والإسكندرية، إلى مشارف الحلة الشيعية، والمدائن، ومشارف الكوت، وقد لا تعترض أميركا على نتائج قد يحققها السيّافون بدلاً من السياسيين، والزرقاوي القادم من الجوار الإســرائيلي بدلاً من ديموقراطية كامل الجادرجي وحســين جميل وصديق شنشل وفائق الســامرائي، وسلامة الطوية للرئيس محمد عبدالرحمن عارف من قادة السنة في العراق.

لقد قيل في رســم الحدود العراقية مع الكويت والسعودية: إنها جــاءت بضربة قلم خاطفة من برســي كوكس، وأقول الآن: إن ضربة سيف خاطفة من الزرقاوي ستقطع العراق من طريبيل حتى خانقين. وبهذا يتخلص الســنة من حكم الأكثرية، ويتشــكل الخط العازل بين الشيعة والأكراد، بخط عازل لا شيعي ولا كردي.

في مثل هذه اللحظات، ينفجر سري وأشعر بعذاب داخلي، وأراجع حجم شراســتي ضد أفكار كان الســعوديون ورجالهم من العراقيين يطرحونها، لإنهاء صدام حسين بانقلاب عسكري تراعي فيه السلطة الجديدة التوازنات الطائفية.

لو اعتُمد الانقلاب لإســقاط صدام حسين لربح الشيعة والسنة، ولحشر قادة الانقلاب خمسة آلاف حزبي متورطين في جرائم إنسانية في معسكرات معزولة، وتركوهم يموتون عرياً من دون أن يتهمهم أحد بالطائفيــة، وكان يمكن لهذا الدور أن يقــوم به كثيرون ممن لم أتفق معهم كوفيق الســامرائي وإبراهيم الــداود وعبد الغني الراوي ونزار الخزرجي وعبدالأمير عبيس.

من كتاب «العراق الأميركي»

obeikandl.com